برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (35)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (32)
الشاشة السابعة : شاشة ابليس – القسم (7)

الاحد : 10 شوال 1439 الموافق: 2018/6/224

✤ هذهِ هي الحلقةُ الـ(35) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديثُ حديثُ الولادة (ولادةُ القائمِ مِن آل مُحمّد "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين").. لازلنا في الشاشة السابعة: شاشة إبليس. مرَّ الكلامُ في الحلقاتِ المُتقدِّمة في إطار هذهِ الشاشة في جهتين:

✦ **الجهة (1):** مجموعةُ صُوَرٍ ولقطاتٍ تتناولُ الخُطوط العامّة للمشروع الإبليسي في مُواجهة المشروع المهدويّ الأعظم، وقَطْعاً كان الكلامُ بنحو الإيجاز والإجمال، وإلّا فالتفصيل يقتضي التطويل.

✦ **الجهة (2):** مجموعةُ صُوَرٍ ولَقَطاتٍ في تَطبيقاتٍ عمليّة لحركةِ هذا المشروع الإبليسي بنحوٍ عام أو في واقعنا الشيعي بنحوٍ خاص.. ولازال كلامي في أجواء هذهِ التطبيقات.

★ **عرض فيديو يتحدّث فيه الشيخ مُحمّد باقر الايرواني فيما يرتبط بمسألةِ ولادة إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامه عليه".**

● كان حديث الشيخ الايرواني ردّاً على ما طرَحَهُ المرجعُ المُعاصر السيّد كمال الحيدري.. لا أُريدُ أن أعلّق على تفاصيل ما قالَهُ الشيخ الايرواني بشكلٍ خاص، لكنّني سأتناولُ هذا الموضوع (أي الأسلوب الذي يُتَّبعُ بين مراجعنا وعلمائنا في إثبات ولادة الحجّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه) من كُلّ ما تقدّم لاحظنا أولاً:

• حينما حاول المرجعُ الكبير المُعاصر الشيخ بشير النجفي في مُحاضرتهِ في مركز الدراساتِ التخصُّصيّة في الإمام المهدي "عليه السلام" التابع للسيّد السيستاني أن يُثبتَ ولادةَ إمامِ زماننا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه"، وعرضتُ عليكم حديثهُ بتمامه وكماله، ومرّ الكلامُ عن هذا الموضوع بالإجمال.. حاول الشيخ بشير النجفي أن يُثبتَ ولادةَ الإمام الحُجّة "صلواتُ الله وسلامهُ عليه" بطريقةٍ يُمكن أن نُثبتَ بها ولادة أيّ إنسان عادي (وأعني بالإنسان العادي أي ليس لهُ مِن أثرٍ ومِن تأثيرٍ حقيقيٍّ حتّى بحدودِ نفسه)

فإنّنا نقرأ في الأدعية هذهِ المعاني: (**فَإنّني لا أملكُ لنفسي نَفْعاً ولا ضرّاً ولا مَوتاً ولا حياةً ولا نشوراً**) بينما حين نتحدَّث عن أئمّتنا بنحوٍ عام وعن إمام زماننا بنحوٍ خاصّ فإنّنا حين نتحدّثُ نتحدَّثُ بهذا المنطق (**إيابُ الخَلْق إليكم وحسابهم عليكم**) ونتحدّث عنهم بهذا المنطق (**وذلَّ كُلُّ شيءٍ لكم**).

وُجودات، كائنات، حقائق.. تُخاطَبُ بهذا الخِطاب، وهُو لا يُمثّل تمام مقاماتهم ولا حقيقةَ حقائق مَنازلهم عند الله، فذلكَ أمرٌ لا يعلمُهُ إلّا الله وهُم "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين".

شأنٌ مِن شُؤون دينهم هو القُرآن، فهو شأنٌ مِن شُؤون رسالة مُحمّدٍ "صلّى اللهُ عليه وآله".. هو القُرآن يتحدّث عن نفسهِ بأنّه لا يعلم حقائقهُ إلّا الله وهم. هذا المنطق وهذهِ البديهيات في الثقافة الشيعيّة المُستمدّة في أصولها من معارف الكتاب والعترة، هذهِ قضايا واضحة.

كان أسلوب الشيخ بشير النجفي أسلوباً هزيلاً، ولا أُريد أن أقول عنه أكثر من ذلك.

• ثُمّ انتقلَ الحديثُ إلى المَنهج السَنَدي، وكيف أنَّ مراجعنا الكبار أمثال السيّد الخُوئي، أمثال السيّد محمّد باقر الصدر، وأمثال السيّد السيستاني مِن المعاصرين الأحياء، والبقيّة الباقية من علمائنا ومراجعنا مِن أنّهم يُضعّفون أحاديث الولادة ويُضعّفون الكثير والكثير مِن أحاديث أهل البيت وفقاً للمنهج السَنَدي.. فيتركون نُوريّة حديث أهل البيت، ويذهبون يبحثونَ في زوايا وظُلمات عِلْم الكلام وعِلْم الأصول كي يجدوا مكاناً أو يجدوا وسيلةً لإثباتِ ولادتهِ "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".

• السيّد الخوئي ومدرسته إذا أرادتْ أن تُثبتَ ولادةَ الإمام فإنّها تذهبُ باتّجاه علم الكلام وهو علمٌ جاءنا مِن النواصب.

• أمّا السيّد كمال الحيدري فقد طوى كَشْحاً وابتعدَ كثيراً عن الروايات وذهب إلى العرفان وذهب باتّجاه نظرية "الإنسان الكامل" وهي نظريّةٌ صوفيّةٌ عرفانيّةٌ جاءتنا أيضاً مِن هناك. علماً أنّ هذا لا يعني أن كُلّ شيءٍ قِيل في علم الكلام ليس صحيحاً، ولا يعني أنّ كُلّ شيءٍ قِيل في العرفان ليس صحيحاً.. في كُلّ مكان، في كُلّ طرحٍ حتّى في الأطروحات الكافرة يُمكننا أن نجد كلاماً صحيحاً هنا أو هناك.

• منهجُ أهل البيت لا يدفعُنا في باب تأسيس عقائدنا أن نَبحثَ عن كُلّ صحيحٍ في هذه الجهة أو في تلك.. صحيحٌ أنّنا تعلّمنا مِن أهل البيت أنّ الحكمة ضالّةُ المؤمن. ولكن ليس في الجانب العقائدي.. وتعلّمنا منهم أن ننظرَ إلى ما قِيل لا أن ننظر إلى مَن قال، فإذا كان حكمةً واضحةً فإنّنا نقبلهُ، ولكن ليس هذا في تأسيس عقائدنا وفي تشكيل منظومتنا المعرفيّة العقائديّة.. منظومتنا المعرفيّةُ العقائديّةُ لا نأخذها إلّا من الكتاب والعترة.

• حتّى عرضت بين أيديكم ما تحدّث به الشيخ الإيرواني في إثبات ولادة إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".. وكانت خُلاصةُ كلامهِ أنّه ذهب باتّجاهين:

✦ **الإتجاه (1):** تحدَّث عن التواتر.. مِن أنّ هُناك تواتراً في هذهِ المسألة، وإنْ لم يُركّز على هذهِ النقطة ومال إلى الإستفاضة.. والإستفاضةُ هي دُون التواتر.. وهُنا كلامٌ هل أنّ الإستفاضةَ تُؤدّي بنا إلى اليقين، أو أنّها تُؤدّي بنا إلى الاطمئنان؟!

(علماً أنّنا هُنا نستعمل المُصطلحات بحسب الاستعمال الشائع في وسط المؤسّسة الدينيّة الشيعيّة الرسميّة في مناهجها العلميّة والدرسيّة، وإلّا فإنّ معاني هذه المُصطلحات في ثقافة الكتاب والعترة لها دلالاتٌ أُخرى).

تحدّث الشيخ الإيرواني عن (الإطمئنان) والإطمئنان هو دُون اليقين، حتّى في الاستعمالاتِ الشائعةِ في الوسط الحوزوي الشيعي.

• لم يُصرّح الشيخ الايرواني بالتواتر القطعي.. لأنّ تعريف التواتر بين علماء المُخالفين - ومراجعنا أخذوا التواتر مِن المُخالفين - هذا التعريف لا حقيقة له بنحوٍ عملي على أرض الواقع. فحتّى المُخالفون أنفسُهم حينما يُؤلّفون كُتُباً يذكرون فيها الأحاديث المُتواترة عندهم، يقومون بعمليّة ترقيع وعمليّة تزوير وعمليّة تحريف وقصّ ولصق كي يقولوا أنّ هذا الحديث مِن الأحاديث المُتواترة.
وفي البدايةِ حين تحدَّثوا عن الأحاديث المُتواترة، تحدَّثوا عن الأحاديث المُتواترة لَفْظاً.. باعتبار أنّ الكلام في أخبارٍ دينيّة (في أخبار تتحدَّث عن عقائد أو تفسير أو تشريع) فلابُدّ أن يكونَ التواترُ في ألفاظها، ولكن لعدم وجود أخبارٍ بهذا الوصف أوجدوا لنا ما يُسمّى بالتواتر المعنوي.. والمُراد مِن التواتر المعنوي هو أنّ الأحاديث لا تتّفقُ ألفاظها مِن الجهة اللّفظية، وإنّما تَختلفُ ألفاظُها ولكنّها تُؤدّي إلى معنىً واحد وإلى مضمونٍ واحد.. وهذا أيضاً جاءوا وقسّموه.. وأنا هنا لا أُريد أن أدخُلَ في كُلّ هذهِ التُرّهات والتفاهات الشيطانيّة.

✦ **الإتجاه (2)**: أشار إلى مسألة حساب الاحتمالات، وأشار أيضاً إلى قضيّة التباني (التوافق) عِبْر التأريخ الشيعي، ومن أنّهُ عِبْر التأريخ الشيعي لا يُوجد تشكيك..! وأقول: كيف يكون ذلك وهذه الفِرَق والمجموعات التي خرجتْ مِن الوسط الشيعي الإثني عشري.
(وأنا هُنا لا أتحدّثُ عن الإسماعيليّة وفُروعها، ولا أتحدّثُ عن الزيديّةِ وفروعها التي ربّما كان لها جذرٌ في يومٍ مِن الأيّام يرتبطُ بالتشيّع).
والفِرَق التي انشقّتْ عن التشيّع الإثني عشري، والمجموعات التي انحرفتْ وابتعدتْ عن التشيّع الإثني عشري مُنذ بداياتِ عصر الغَيبة الصُغرى وحتّى في عصر الغَيبة الكُبرى إلى يومنا هذا.. إدّعاءُ المهدويّة عبر التأريخ الشيعي مُنذُ بدايات الغَيبة الكُبرى وإلى يومنا هذا تكرّر مراراً ومراراً.. وكُلّ ذلك إن لم يكنْ إنكاراً واضحاً، فعلى أقلّ المُستويات ينطلقُ مِن تشكيكٍ في ولادة إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".
• أمّا قضيّةُ التباني أو التوافق فهذهِ مَوجودةٌ في كُلّ الأديان.. بهذهِ الطريقة يُمكن أن نُثبتَ كُلّ الأديان وكُلّ الاتّجاهات.
فالأديان الأُخرى ليستْ أقدم مِن ولادة إمام زماننا الحجّة بن الحسن، هي أقدمُ مِن دين الإسلام أصلاً.. وأهلُها أكثرُ مِن الشيعة أضعافاً مُضاعفة، وهُم يتّفقون على ما هم يعتقدون به.
المُخالفونَ لأهل البيت مُنذ زمانِ السقيفة إلى يومنا هذا ألا يتّفقونَ على مبادئ مُعيّنة ويتبانون عليها..؟! فهل هذا يدلّ على صِحّة اعتقادهم..؟!
حينما نستدلُّ باستدلالٍ أو بطريقةٍ.. ظاهرُ الأمر إنّنا نُثبتُ ما نُريد، وظاهرُ الأمر هُناك أُناسٌ سيسمعون هذا الكلام يُقوّي عقائدهم - وهذا شيءٌ حسنٌ إلى حدٍّ ما - ولكن إذا ما جاء في وقتٍ آخر مَن يكشف عيوب هذهِ الوسائل في الاستدلال، فإنّهُ سيوجّه ضربةً قاصمةً إلى هذهِ العقيدة، على المُستوى العلمي على الأقل أو على المُستوى الاجتماعي.
مثلما أوجد الشيطانُ لِعُلمائنا ومَراجعنا علم الرجال، وبعد ذلك صار وسيلةً لإنكار ولادة إمام زماننا أو للتشكيك في ولادته.
• هذا الموضوع (موضوع التواتر) بالنحو الذي يقول بهِ المُخالفون، وموضوع حساب الاحتمالات.. كلّ هذهِ يُمكن أن تُناقش ويُمكن أن تُردّ.. منطق أهل البيت منطقٌ آخر. نحنُ لا يُوجد عندنا في حديث أهل البيت شيءٌ يُسمّى أخبار آحاد، وشيءٌ يُسمّى أخبار مُتواترة.. هذا ليس موجوداً عندنا لا في الكتاب الكريم ولا في حديث العترة. هذه وسائل شيطانيّة صنعها الشيطانُ للمُخالفين في سبيل حرب منهج الكتاب والعترة.
• **وقد يسأل سائل**: وكيف تكون وسائل شيطانيّة لحرب منهج الكتاب والعترة؟!
وأجيب وأقول: أنّه بعد زوال الحُكم الأموي ومجيئ العبّاسيّين الأُمور تغيّرتْ وتبدّلتْ.. حدَثَ تبدّلٌ كبير على المُستوى السياسي، وعلى المُستوى الإجتماعي، وعلى المُستوى الثقافي.. انتشرتْ المدارس وتنوّعتْ الاتّجاهات الفِكريّة، وكَثُرَ المؤلّفون، وصارَ للكُتب سُوقٌ كبير.. حَدَثَ تبدّلٌ كبير على جميع المُستويات.
• العبّاسيّون جاءوا يرفعون شِعار (الرضا من آل مُحمّد) وكانوا أشدّ عداوةً مِن الأمويّين.
العبّاسيون يُعانون من أمرٍ مهمٍ جدّاً.. يُعانون مِن مَسألةِ إثباتِ شرعيّتهم.. حركةُ العبّاسيّين في زمنها السرّي (في زمان بني أُميّة) كانتْ مُبتنيةً على عُنوانٍ مُجمل: (الرضا من آل مُحمّد). وكثيرٌ مِن الناس كانوا يفهمون هذا الشعار أنّ المراد منه: (الرضا مِن آل عليّ) فإنَّ آل مُحمّد في الحقيقةِ هُم آل عليّ، وليس هُم هؤلاء الذين أمسكوا بالحُكم. ليس العبّاسيّون هُم الذين يُقالُ لهم آل مُحمّد.
العبّاسيّون ماذا يصنعون..؟! هل يتبنّونَ المناهج العلميّة والدينيّة والثقافيّة التي كان الأُمويّون يسيرون عليها.. وبالتالي ما الفارقُ فيما بينهم وبين الأُمويّين؟! هل يلتزمون بمنهج آل عليّ (بمنهج الكتاب والعترة)..؟! وهذا ما لا يُريدونه.
• حين يُوجّهون أنظارهم إلى أئمتنا (أنَّ هؤلاء هُم أولاد رسول الله) الجميع يعرفون ذلك.. لا يُشكّكُ أحدٌ في هذهِ الحقيقة أنّ أئمتنا هُم أولادُ رسول الله.. تأريخُ أئمتنا ناصع، منطقُهم واضح: كنوزُ الحقائق والعلم، لا يُماثلُهم أحدٌ في أخلاقهم وفضائلهم، لا يستطيعُ أحدٌ أن يتصيّدَ عيباً عليهم.. فماذا يصنع العبّاسيّون؟! لجأ العبّاسيّون إلى عُلماء "منهج السقيفةِ" يحتمون بهم، وحينما أُريد أن يُؤسَّس لِمَنهجٍ فكريٍّ واضح، فَإنّ عُلماء المُخالفين وجدوا بين أيديهم جبالاً مِن الأحاديث والروايات التي تبدو علائم الكذب والافتراء والخُرافةِ واضحةً عليها.. فماذا يصنعون؟!
هل يرفضون هذا الكمّ الهائل مِن افتراءاتِ الصحابة وأكاذيبِ التابعين ومن كُلّ ما هو موجودٌ بين أيديهم؟!
هذه الكميّات الهائلة مِن الأحاديث اضطّروا لتصفيتها بأن أسّسوا علماً سُمّي بـ(**علم الرجال**).. فبدأوا يُصنّفون الرُواة إلى مَوثوقين وإلى غير مَوثوقين.. وأوجدوا علماً يُسمّى بـ(**علم الجَرح والتعديل**) فهُناك رُواةٌ مَجروحون وهُم على أصناف، وهُناك رُواةٌ مُعدَّلون وهُم على أصناف.. التفصيل الذي اعتمدوه.
عمليّة فلترة لهذا الكمّ الهائل مِن الافتراءات والأكاذيب على رسول الله.
ولمّا فلتروا أحاديثهم بهذهِ الطريقة وجدوا أنّ هذه الفلترة هي الأُخرى لا تنفعُ كثيراً.. لأنّهم فلتروا وِفْقاً للأسماء المَوثوقة، للأسماء الكبيرة عندهم.. ولكنّهم جاءوا مثلاً إلى أحاديث عُمر بن الخطّاب فوجدوا فيها الكثير مِن الهراء أيضاً.
أحاديث تحريف القرآن كثيرةٌ عندهم ومرويّةٌ عن عُمر بن الخطّاب، وبعض هذه الأحاديث موجودةٌ في صحيح البُخاري.. فماذا يصنعون؟!

فأوجدوا علماً آخر سُمّي بـ(**علم الحديث**).. فيُمكن أن يكون الخبرُ مرويّاً عن شخصيّاتٍ موثوقةٍ عندهم ولكنّهم لا يعملون به.. وأوجدوا لذلك مُصطلحات مثلما أوجدوا مُصطلح (**الشاذ**).. فالشاذُّ عندهم أحاديث صحيحة ومرويّة عن ثقات ولكنّهم لا يعملون بها.. ومع ذلك هذهِ الفَلترة أيضاً ما أنجدتهم كثيراً، فأوجدوا لنا ما سُمّي **بـ(أخبار الآحاد والأخبار المُتواترة)**.

وحِين يتحدّثون عن أخبار الأحاد ليس بالضرورة أنّ الخبر يرويه شخصٌ واحد، يُمكن أن يرويه أكثر مِن شخص ولكنّهم افترضوا نَوعاً مِن الأخبار هي الأخبار المُتواترة، وهي الأخبار التي يَرويها مَجموعةٌ من الرُواة لا نَدري كم عددهم.. اختلفوا في العدد.. (البعض قالوا عشرة، والبعض ذهبوا إلى سبعين، والبعض ذهبوا إلى أكثر مِن ذلك) لا ندري كم هو العدد..!

على أنّ الخبر يُروى مِن قِبل مجموعةٍ لا يُتوقَّع أنّهم اتَّفقوا على الكذب، وهذا يسري في جميع العُصور.. وعملياً لا تُوجد أخبار بهذا الوصف.. فسُمّيتْ هذه الأخبار بالأخبار المُتواترة، وما دُون ذلك سُمّيت بأخبار الآحاد (سواء كان الخبر الحديث يرويه شخصٌ واحد أو أكثر مِن شخص، ولكن دُون العدد الذي يُشكّل ما سُمّي بالتواتر). عملياً لا تُوجد أخبار مُتواترة، وهذا المنطق منطق أعوج..

(وقفة توضيح سريعة لهذهِ النقطة).

• بعد ذلك لمّا وجدوا أنّ الأعداد يصعبُ أن تتوفّر بهذا الشكل، فقالوا الأمر يختلف بحسب الأحاديث.. وأنا هُنا لا أُريدُ أن أُناقش كلامهم.. فقط أردتُ أن أُوصِل إليكم فكرة عن معنى الآحاد والتواتر وكيف تولَّد هذا الأمر في أجواء المُخالفين.

• جاءونا بعد ذلك وقالوا: نَحنُ لا نعملُ بأخبار الآحاد في الجانب العقائدي.. يُمكن ذلك في جانب الفتوى والأحكام، أمّا في الجانب العقائدي فلا نعملُ بأخبار الآحاد.. ولِذا حينما جاءوا إلى أحاديث الأئمة الإثني عشر - وهي موجودةٌ في كُتبهم - قالوا: هي أخبار آحاد، نَحنُ لا نعبأ بها.. لأنّها ليستْ مِن سِنخ أخبار الأحكام والفتاوى.. هذه إذا كانت تتناول موضوعاً عقائديّاً فهي أخبار آحاد، ونحنُ لا نبني عقائدنا على أخبار الآحاد.

جاءونا بنظريّة أنّ أخبار الآحاد تُولّد الظنّ فقط..! وهذا الكلام ليس صحيحاً.. كُلّ هذا لأجل أن يُحاربوا منهج الكتاب والعترة.. ومراجعنا ركضوا وجاءونا بكلّ هذه التُرّهات..! حقائق الكتاب والعترة واضحة لدينا في حديثِ أهل البيت، ومَراجعنا وعلمائنا راحوا يبحثون في المزابل..! فجاءونا بهذه الزبالة وألقوها على حديث أهل البيت، وبعد ذلك يحيرون في ترقيع الأمر.. عملية ترقيع واضحة جدّاً.

● موضوع التواتر هذا إذا أردنا أن نبحَثَهُ بعُمْقٍ وبدقّة، فإنَّ التواتر أُسلوبٌ مِن أساليب ثُبوت الأخبار عند بني البشر.. هذا شيءٌ منطقيٌّ إذا ما أُخِذَ في إطار عِلْم المنطق.

ما يُسمّى بـ(عِلْم المَنطق) هو عِلمٌ كَتْبيٌّ، والمُراد مِن العِلم الكَتْبي: هو العِلْم الذي تُوجَدُ مضامينه في واقع الحياة الإنسانيّة وإنّما يأتي شخصٌ ذكيٌّ ألمعيٌّ يستطيع أن يستخرج مضامين هذا العلم من الواقع الإنساني على المُستوى الفردي أو على المُستوى المجموعي، بعد ذلك يصبّه في قالبٍ لفظيٍّ وبأسلوبٍ فنّيٍّ يُقسّم المضامين إلى قواعد أصليّة، إلى قوانين فرعيّة.. ينحتُ لها مُصطلحات.

ولكن في النتيجة أنّ مضمون هذا العلم لم يكن من ابتداع كاتبه، وإنّما هو قام بدور كتابةِ مضامين وحقائق موجودة على أرض الواقع - قطعاً بحسب فهمه - أرسطو هكذا صنع.. ما يُسمّى بمنطق أرسطو لم يكن ابتداعاً مِن أرسطو، وإنّما أرسطو والذين مِن أمثالهِ الذين كتبوا في علم المنطق.. الذين كتبوا في هذا الباب جاءوا ورصدوا الطبيعةَ البشريّة على المُستوى الفردي وعلى المُستوى المجموعي.. كيف يُفكّرون؟ ماذا يقولون؟ ما علاقة ألفاظهم بالمعاني التي يقصدونها - بعيداً عن علم اللّغة - فيما يرتبطُ بالجانب الفكري؟ كيف يثبتون الأشياء؟ كيف يُنكرون وجود الأشياء؟ ما هي الأشياء التي من حولنا التي نُؤثّر فيها ونتأثّر بها؟

كيف نستطيع أن نتواصل بشكلٍ مُنظّم مع الأشياء من حولنا؟ فلابُدّ مِن تنظيمها وتصنيفها.. وتبدأُ العمليّةُ مِن علاقتنا مع الواقع الخارجي، وحتّى مع أنفُسنا.. ولذا حركةُ عِلْم المنطق تبدأ مِن مرحلة التصوّر، وتتسامى إلى ما هو أبعد مِن التصوّر كي نُخرجهُ في صُورة التعاريف.. وبعد ذلك يتسامى الأمر إلى مسألةِ معرفةِ ما حولنا مِن مُفردات ودراسةِ العلائقِ فيما بينها كي تتكوَّن القضايا المنطقيّة ما بين الموضوع والحُكم.. هناك أشياء نحكم عليها وهناك أحكام، وقطعاً هذهِ الأشياء التي نُصدرُ عليها أحكاماً لابُدّ أن نكونَ على معرفةٍ بها، ولو أنّنا نملكُ معرفةً إجماليّةً بها، وهذا ما يُسمّى بـ(التعريف).. والتعريف يحتاجُ إلى تفصيلٍ، وحينئذٍ لابُدّ مِن تصنيف المجموعات، وهُنا ندخل على أبواب ما يُسمّى بالذاتيّات والعَرَضيات.. حتّى يتسامى الأمر إلى أن نصِلَ إلى أساليب التفكير الإنساني وأساليب البرهنة والإستدلال وسائر ما يترتّب على ذلك.

فأرسطو والمناطقة حين كتبوا ما يُسمّى بـ(**علم المنطق**) جاءوا فدرسوا الطبيعة البشريّة، درسوا حركة الفِكْر الإنساني داخل الفَرد وداخل المجموعة، فترجموا الحالة الفكريّة للفَرد وللمجموعة ترجموها في هذا العلم الذي سُمّي بعلم المنطق.. كتبوه، فسُمّي علماً كَتْبيّاً.. لأنّهم نقلوا مضمونه من الواقع الإنساني على المُستوى الفردي أو على المُستوى المجموعي، فتولّد عندنا علم المنطق.

• من جملة المطالب التي يتناولها علم المنطق: ما يُصطلح عليه بـ(**التواتر**).

التواتر هو التواصل، والتواتر الذي يتحدّث عنه علمُ المنطق في الاخبارات التي تتواصل في حياة البشر ويتعامل البشر معها على أنّها قطعيّةٌ.. وهُنا قضيّة مهمّة جدّاً وهذه القضيّة يغفلها ويتناساها الذين يتحدّثون مِن المُخالفين عن الأحاديث وعن الأخبار الدينيّة.

التواتر في عِلْم المنطق لابُدَّ أن تكون جُذورهُ حِسيّةً، لابُدّ أن يكون الأصلُ في الإخبار أصْلاً حسيّاً.. وإلّا في علم المنطق هل يُقال عن وجود الله أنّه قضيّة مُتواترة؟! لا يُمكن ذلك.. وسائرُ القضايا الغَيبيّة التي ربّما يعتقد بها ملايين مِن الناس وعِبر التأريخ، لأنَّ جَذْر هذه القضيّة ليس حسيّاً.

• حتّى المثال الذي أشار إليه الشيخ الإيرواني (وهو مثالٌ معروف يتردّد في الكُتب الدرسيّة الحوزويّة) مِثاله عن وجود مكّة - قطعاً للذين لم يذهبوا إلى مكّة ولم يروها - وهُم يعتقدون بوُجودها بسبب التواتر.. هذا التواتر تواترٌ إنساني لا علاقةَ لهُ بالتواتر الذي يتحدَّث عنهُ عُلماء الحديث الديني عند السُنّة وعند الشيعة.. هؤلاء اصطنعوا لهم تواتراً لا حقيقةَ لهُ على أرض الواقع.

التواتر الإنساني الذي يتحدَّث عنهُ المناطقة حقيقةٌ علميّة ثابتة، والإخبارات التي تُسمَّى إخبارات متواترة في علم المنطق هذهِ إخباراتٌ قطعيّة.. أمّا هذا الكلام يُردّده عُلماؤنا مِن أنّ ولادة الإمام المهدي مِن الأخبار المُتواترة، فعَلى أيّ أساسٍ جعلتم هذهِ القضيّة مِن الأخبار المتواترة؟!
هي قضيّةٌ قطعيّة ولكنّها ليستْ مِن الأخبار المُتواترة.
هذا تقليدٌ لفِكْرٍ ناصبيّ خاطئ أساساً.. هذا بناءٌ خاطىء، وهذا الاعتقاد الذي يُسلّم بهِ العلماء مِن أنّ خبر الواحد (بغَضّ النظر هل رواهُ شخصٌ واحد أو أكثر من شخص ولكن دُون التواتر) أنّ هذا الخبر يُوصلنا إلى الظن.. هذا الكلام هُم في حياتهم لا يُمارسونه.
فالكثير مِن الأمور بسبب إخبار شخصٍ واحد يترتّب عليها اليقين.. دُولٌ عظمى بمُؤسّساتها يُمكن أن تقلِبَ الأُمور على دولةٍ أُخرى وأن تدخُلَ في حربٍ مُدمّرة بسبب إخبارٍ من جاسوسٍ واحد من جواسيسهم.. وهؤلاء لا يتصرّفون خلافاً للمنطق البشري.. والتأريخ هكذا.
شخصٌ واحد يُمكن أن يُخبرنا بشيءٍ يُولّد اليقين في مُقابل عشرات مِن الأشخاص لا نَثِقُ بهم.. هذهِ القضيّة (قضيّة ما يُسمّى بخبر الواحد، والخبر المتواتر) هذه أكذوبة مِن أكاذيب المُخالفين.. لِماذا تُدخلوننا فيها؟! هذه مُشكلةُ علمائنا.
• المُخالفون جعلوا علم الكلام علماً للعقائد.. فجاء علماؤنا وجعلوا علم الكلام علماً للعقائد..! وبعد ذلك جاءونا بالتصوّف الذي سُمّي بالعرفان فجعلوه علماً للعقائد أيضاً..!
• المُخالفون الأشاعرة جعلوا أصول الإسلام ثلاثة (التوحيد، النبوّة، المعاد) والمُعتزلة أضافوا إلى هذهِ الأصول الثلاثة (العدل).. فركض مراجعُنا فجاءُونا بها وأضافوا إليها (الإمامة)..! مع أنّه لا مِن عينٍ ولا مِن أثر في حديث أهل البيت أنّ علم الكلام يكون مصدراً لعقائدنا، وأنّ أصول ديننا خمسة!
ثُمّ ركضوا فقالوا: هناك ما يُسمّى بأصول الدين وهناك ما يُسمّى بأصول المذهب لإرضاء المُخالفين..!
والقضيّة هي هي حين جاءوا كي يُثبتوا العقائد قالوا بأنّ أخبار الآحاد - بحسب قواعد علم الكلام الناصبي - لا نُثبتُ بها العقائد.. هذهِ الأشياء جاء بها النواصب أعداء أهل البيت لتأسيس دينهم بعيداً عن منهج الكتاب والعترة، ولأجل أن ينتفعوا من هذه القواعد في حرب منهج الكتاب والعترة.. فلماذا مراجعنا يركضون وراءهم ويُريدون أن يُطبّقوا هذه القواعد في إثبات عقائدنا؟! ولذلك تخرج أحاديثهم ضعيفةً هزيلة!
وأنتم لاحظتم حديث الشيخ بشير، ولاحظتم حديث السيّد كمال الحيدري الذي فرّ من الأحاديث جُملةً وتفصيلاً، ولاحظتم حديث الشيخ الإيرواني (عملية تلصيق). هذا الكلام الذي ذكره الشيخ الإيرواني يقبَلُهُ الشيعي الذي لا يشكُّ أساساً في ولادة الإمام الحجّة، وإنّما يجلسُ مُستمعاً للحديث وهو حديثٌ يتناول عناوين عامّة فيما قالهُ أهل البيت.
أمّا هذه الأطر (أُطُر التواتر، أُطُر حساب الاحتمالات) حتّى حسابُ الاحتمالات فإنّنا إذا أردنا أن نُدقّق في هذهِ النظريّة الرياضية فإنّنا لا نستطيعُ أن نُطبّقها فيما يرتبط بولادة إمام زماننا؛ لأنّ هذهِ الاحتمالات مردُّها إلى أمرٍ حسّي.. فأين هو الأمرُ الحسّي في ولادة إمام زماننا؟! لا يُوجد أمرٌ حسّي.
نحنُ لا نمتلكُ رواياتٍ تُحدّثنا عن حضور عددٍ كبير أثناء ولادة الإمام الحجّة، وإنّما السيّدة حكيمة هي التي كانتْ حاضرةً وحدّثتنا، ومراجعنا لا يُوثّقون السيّدة حكيمة.
رواية السيّدة حكيمة إذا أردنا أن نزنها بميزان الحقيقة فإنّها تُعطينا اليقين الكامل.. ولا شأن لي بهذا البحث الرجالي السخيف الذي يقول أنّ الرجاليّون لم يُوثّقوا السيّدة حكيمة.. ما قيمة هؤلاء أساساً حتّى تكون هناك قيمةٌ لتوثيقهم..؟! رواية السيّدة حكيمة كافية، وتُعطينا اليقين.. وإذا وُضعتْ في سياقها الصحيح مثلما وضعتُها في الشاشة الثالثة: شاشة الأُسرة.. ولاحظتم الاتّساق والتوافق الحقيقي.
● وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في [الكافي الشريف: ج1] - باب الأخذ بالسُنّة وشواهد الكتاب.
✦ الحديث الأوّل: (**عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسولُ الله "صلّى اللهُ عليه وآله وسلَّم" إنَّ على كلِّ حقيقة وعلى كلِّ صوابٍ نورا ، فما وافقَ كتابِ الله فخُذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه**).
هو نفس المنطق الموجود في الزيارة الجامعة الكبيرة (كلامكم نور).. الحقائق تحملُ قيمتها في نفسها، فلسنا بحاجةٍ إلى هُراء المرجع (س) أو سخافات المرجع (ص). وإنّما كان الهراء يصدر عن المرجع (س) وكانت السخافات والتفاهات تصدرُ عن المرجع (ص) لأنّهم ذهبوا إلى مزابل النواصب.. من هناك ذهبوا فجاءونا بكلّ قذاراتهم وألقوا بكلّ هذه القذارات على حديث أهل البيت!
منطق أهل البيت يقول أنّ كلامهم "صلواتُ الله عليهم" يحملُ القيمة في نفسه.. (كلامكم نور).
✦ حديث آخر: (**بسنده: أنَّهُ حَضَر ابنُ أبي يعفور في هذا المجلس** - مجلس يجلسُ فيه الإمام الصادق وبعض أصحابه - **قال: سألت أبا عبد الله "عليه السلام" عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، ومنهم مَن لا نثقُ به؟ قال: إذا ورَدَ عليكم حديث فوجدتم لهُ شاهداً من كتاب الله عزّ وجلّ، أو من قول رسول الله، وإلّا فالذي جاءكُم به أولى به**). الإمام هنا لم ينظر إلى الراوي، وإنّما نظر إلى المتن.
● وقفة عند كتاب [الغَيبة] للشيخ الطوسي. (وقفة عند أحد توقيعات الناحية المُقدّسة التي ترتبطُ بموضوع حديثنا).
(**أخبرنا جماعةٌ، عن أبي الحسن مُحمّد بن أحمد بن داود القُمّي قال: وجدتُ بخطّ أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاءِ أبي القاسم الحُسين بن رُوح** - السفير الثالث - **على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أُنفذتْ مِن قُم يُسألُ عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام** - أي الإمام الحجّة - **أو جوابات مُحمّد بن عليّ الشلمغاني، لأنه حُكي عنهُ أنّه قال: هذهِ المسائل أنا أجبتُ عنها، فكتبَ إليهم** - الحسين بن روح إملاءً على أحمد بن إبراهيم النوبختي - **على ظَهْر كتابهم:**

"بسم الله الرحمن الرحيم، قد وقفنا على هذهِ الرُقعة وما تَضمَّنتهُ، فجميعُهُ جوابُنا عن المسائل، ولا مَدخَل للمَخذول الضال المُضِلّ المعروف بالعزاقري لعنهُ الله في حرفٍ منهُ، وقد كانتْ أشياء خرجتْ إليكم على يديّ أحمد بن بلال - من الشخصيات الخطّابية الملعونة - **وغيرهِ مِن نُظرائهِ، وكان مِن ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا، عليهم لعنةُ الله وغضبَهُ"**

- يقول الحسين بن روح - (**فاستثبتُّ قديماً في ذلك. فخرجَ الجوابُ** - من الناحية المُقدّسة -: **ألا مَن استثبتَّ فإنَّه لا ضررَ في خُروج ما خرجَ على أيديهم** - في وقت هُداهم - **وأنَّ ذلك صحيح**).

الغايةُ عندنا أن نعرفَ صِحّة المُتون، بغضّ النظر عن الذي جاءنا بها أو نقلها إلينا.. وهذا هو منطق القرآن في الآية 6 من سورة الحُجُرات:

{**يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا**} . الآية لم تقلْ ردّوا خبر الفاسق، وإنّما قالتْ: "**تبيّنوا**" يعني تبيّنوا من المَتن، وهذا يُسقِط علم الرجال.. لأنّ عِلْم الرجال عِلْمٌ شيطاني يُراد منهُ هذهِ النتائج السيّئة (إمّا أن نُنكر ولادة الإمام الحجّة، وإمّا أن نصنع المُقدّمات للتشكيك فيها، وإمّا أن نستدلّ على ثبوتها بِطُرُقٍ هزيلة).

• أيضاً في نفس الكتاب [كتاب الغيبة] للشيخ الطوسي، في صفحة 247 جاء فيها:

(**سُئِل الشيخ** - يعني أبا القاسم "أي الحُسين بن رُوح" - **عن كتب ابن أبي العزاقر** - الشلمغاني - **بعدما ذُمّ وخرجت فيه اللّعنة** - مِن الناحية المُقدّسة -، **فقيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملاء؟ فقال: أقول فيها ما قاله أبو مُحمّد الحسن بن علي "العسكري صلوات الله عليهما" وقد سُئِل عن كُتب بني فضَّال** - الذين قالوا بإمامةِ عبد الله الأفطح وقدّموه على إمامنا الكاظم "صلواتُ الله عليه - **فقالوا: كيف نَعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء؟ فقال صلوات الله عليه: "خذوا بما رووا.. وذروا ما رأوا"**)

● وقفة عند كتاب [رجال الكشّي] في صفحة 935 رقم الحديث 490 جاء فيه:

(**قال مُحمّد ين عيسى: وحدَّث الحسنُ بن عليٍّ بن يقطين بذلك أيضاً، قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا "عليه السلام": جعلتُ فداك، إني لا أكادُ أصل إليكَ أسألكَ عن كلّ ما أحتاجُ إليهِ مِن مَعالم ديني، أفيونس بنُ عبد الرحمن ثقة آخذُ عنهُ ما أحتاج إليه مِن معالم ديني؟ فقال: نعم**)

معالم الدين هي العقائد قبل أن تكون الأحكام.. الأحكام أيضاً من معالم الدين، ولكن المِصداق الأوّل مِن مصاديق هذا المُصطلح "معالم الدين" هي العقائد، وإنّما تأتي الأحكام والفتاوى في مرحلةٍ مُتأخّرةٍ من معالم الدين. معالم الدين هي حُدودهُ، وإنّما يتحقّق معنى حدود معالم الدين في العقائد، في الأفكار والثقافة التي تتجلّى في فَهْم القرآن وفي الأُصول والقواعد الواضحة في التفكير وفقاً لِمنهج الكتاب والعترة.. وتأتي الأحكام والفتاوى في ذيل هذا السياق.

• **هناك أمران واضحان في هذه الرواية:**

✦ **الأمر الأوّل:** معالم الدين وهي العقائد تثبتُ بخبر الراوي الواحد وهو يُونس بن عبد الرحمن.

✦ **الأمر الثاني:** أنّ السائل الذي سأل الإمام الرضا، وحتّى جواب الإمام الرضا وِفقاً لِسُؤاله لم يُؤخَذ أيُّ معنىً مِن المعاني الخاصّة بخُصوص يونس بن عبد الرحمن.. السؤال مُجرّد عن أنّه ثِقة.. وليس هُناك مِن حديثٍ عن عدالته.. (وهذا موضوع العَدَالة في قضيّة الأسانيد هو أيضاً من الموضوعات التي جاء بها علماؤنا من المُخالفين).

ولا يقول أحدٌ هنا رواية عُمَر بن حنظلة وأنّه جاء فيها: (**بأنّنا نأخذ برواية أعدلهما**) فهذا موضوع آخر.. أولاً هذا في القضاء، وثانياً هذا عند الاختلاف، وثالثاً في التقييم الحسّي، لا في تقييم رواة ماتوا قبل مئات السنين.. أنت حسّياً تُرجّح بين هذا القاضي وهذا القاضي.. وهذا الموضوع لا شأن لنا به.